التماسك الاجتماعي
والتغير السريع وأبغض الحلال

تقرأ في مجلة عربية كلمات قليلة لا تتجاوز الأسطر عن آخر إحصائية صدرت تفيد بأن نسبة الطلاق في ذلك القطر هي بواقع حالة طلاق واحدة من بين ثلاث حالات زواج .

وهناك في القطر العربي الآخر من يذكر لك في معرض الحديث أن نسبة الطلاق في تزايد خطير إذا قيست بما كانت عليه في الماضي ، ثم يذكر لك الأرقام التي تثير دهشتك واستغرابك .

ثم نقف أمام هذه الأرقام عاجزين عن إعطاء تفسير لهذه الظاهرة لمعرفة أسبابها ، ومن ثم اتخاذ خطوات إيجابية حقيقية نحوها .

كم نحن بحاجة إلى تطور معنوي ، إلى جانب تطورنا المادي .

إنها ظاهرة اجتماعية خطيرة ، من واجبنا أن نقف طويلًا عندها لنتمعن في معانيها ، وتحتاج منا أن ندرس بعمق أسبابها ، لنضع أيدينا على السبب الذي قد يعيش بيننا ، ونحن نستأنس له أو نصنعه بأيدينا جريًا وراء التقليد الأعمى لكل الصرعات التي تَرِدُ إلينا ، ونلبسها ثوبًا من ثقافتنا ، ويخدعنا بريقها ، متجاهلين كل ما حذرنا منه ديننا وشريعتنا التي هي من أهم مقومات ثقافتنا ، بل ننقاد له باسم الفن الراقي وهو المريض ، وتقليدًا للحضارات الأخرى ووسائل إعلامها ، إنه التغير الاجتماعي غير المدروس برؤى أصيلة ، والذي لم نعد العَدَّةَ إليه ، ولم نفعل ما يستوجب منا دائمًا أثناءه من التفات إلى الوراء

قليلًا عندما نخطو خطواتنا حتى تكون المسيرة متواصلة ، تحقق التماسك الاجتماعي لا ثغرة فيها أو نقاط ضعف يستغلها المستغلون وأعداء الأمة ويطلقون عليها في حربهم لنا الجبهة الداخلية فيدخلون سمومهم المموهة التي تلهي المجتمعات بتطورٍ كاذبٍ لا يمنحها القوة الأصلية أو العافية السليمة .

ليت علماؤنا الاجتماعيون الصغار يتجهون نحو المكان الذي تتخذ فيه القرارات الرسمية لأبغض الحلال وهو الطلاق ، ليشهدوا مقطعًا مأساويًا لمسرحية أو قصة من الحياة ، بدأت بالفرحة والأمل ، وخفقات القلوب وبذل المال ، وانتهت بالدموع والخسارة والفجيعة واليأس ، على عكس روتين الأفلام العربية في الحقبة الماضية .

ليت المأساة تنتهي إلى هذا الحد ، إنه سيتبع انهدام صرح بنيان الأسرة هذه ، تشتيت شمل أبنائها وتشريد وحرمان أطفال أبرياء من حنان الأم وعاطفة الأب ، والحرمان أيضًا من الشعور بالأمن والاطمئنان الذي توفره جماعة الأسرة من تآلفها وتوادها وتراحمها وتعاطفها .

ليتهم يتجهون نحو ذلك المبنى ، ويقدمون شيئًا من جهودهم العلمية ، من إخلاصهم لعلاج هذه المشكلة والإحاطة بها لتكون كما أرادها الخالق لعباده يتصرف الناس قبلها بالحكمة والتعقل ويبذلون لتفاديها الجهود والصبر ، إنهم لو صنعوا شيئًا نحوها لجلبوا السعادة لأنفسهم ولمجتمعاتهم ؛ لأن طبيعة الإنسان هي أنه يشعر بالسعادة والارتياح ولو بعد جهدٍ وتعبٍ عندما تكون جهوده موجهة نحو إسعاد الآخرين من أبناء مجتمعه ومساعدة من هم بحاجة إلى المساعدة فعلًا .

إنه في هذا المبنى يحوي بين جنباته مأساة انفجار بنيان المدرسة الأولى للطفل

التي يتعلم فيها المحبة للأخوة والأسرة وللمجتمع والإنسانية .

يتعلم فيها المبادئ الخلقية ، والخبرات الأولى التي تساهم في جعله لبنة صالحة يعتمد على المجتمع في نهضته .

إن البحوث الاجتماعية العلمية في هذا المجال ستعطينا صورة حية عن أبعاد المشكلة ، وستسلط الضوء على العوامل الملحة وغير الملحة التي تشكل معول الهدم في خلايا المجتمع ، وتعمل على تخريب بنيانه مما يستلزم منا سرعة مواجهتها لحماية الطاقات من الهدر والضياع بعد وضع أيدينا على الأسباب .

فدراسة هذه المشكلة من واقع سجلاتها ، وإجراء مقارنة حيث العدد والأسباب التي تكمن خلفها سواء كانت في الماضي أو الحاضر ، سيساعدنا على معرفة اتجاهاتها ، وسيمكننا من أن نمسك أمر المقود بأيدينا ، فإذا كان التبصر بأمر هذه المشكلة شيئًا نافعًا في الأحوال العادية ، فإنه يعتبر شيئًا ملحًا ونحن على عتبة تغير سريع في عمر نهضتنا ، يحمل هذا التغير أعاصير رياح الحضارة الغربية المادية ، وسموم أمراضها الاجتماعية ، وأمواجها العاتية الخالية من دفء الإيمان وحلاوة التراحم .

إن دراسة هذه الظاهرة بشكلٍ أعمق مما كنا عليه في السابق ، لتحديد أبعادها ، سيساعدنا ونحن على أرضية ثقافتنا الأصيلة أن نمنحها تفسيرات سليمة وتشخيصًا عميقًا وأصيلًا للعلة ، بعيدًا عن زوابع النغمات الاصطناعية ومفاهيم الحب المستورد التي شوهت مفهوم العلاقة الزوجية من واقع تراثنا ، وكرّست فيها كل عوامل الأنانية والفردية ، كما سيساعدنا ذلك في الابتعاد عن استيراد المشكلات وضمان سلامة الخطوات ، وامتصاص السلبيات التي تهدر الطاقات .

وأخيرًا ، أرى أن هناك حقيقة يمكن أن نتعرف عليها ، وهي أن نسبة لا بأس بها من الأزواج والزوجات الذين تضطرهم الضغوط القاسية التي يتعرضون لها إلى هدم صرح حياتهم الزوجية قد يكونون في كثير من الأحيان من العناصر المفكرة الواعية التي تحمل طاقات بناءة لم تتمكن بإمكاناتها وظروفها من الاستمرار في انحباسها .

علمًا بأن رعاية فنية متخصصة على ضوء فلسفة واضحة ومبادئ المجتمع الأصيلة ، يمكن أن تكون بمثابة جسر العبور لمرحلة التغير السريع الخطرة ، كما يمكن أن تعيد لتلك الخلايا السعادة والحياة والتوازن والفعالية في ديناميكيتها لما يجعلها أكثر إنتاجًا أو مصدر خيرٍ للمجتمع والبشرية .

تساؤل :

أذكر أنني قرأت عددًا من مشكلات اجتماعية في مجلة أسرتي الكويتية في باب العودة إلى الجنة ، والمجتمع الكويتي له تجربته الخاصة في الانفتاح على الحضارة الغربية من ناحية ويشبه تجارب الدول العربية الأخرى في نواحي ثانية .

وعندما كنت أنتهي من قراءة المشكلة ، كنت أحللها إلى عواملها ومسبباتها : فأرى أن بعضًا منها يتعلق بسلوك الرجل واتجاهاته أو سلوك المرأة واتجاهاتها ، والبعض الآخر يتعلق بظروف المجتمع والبيئة المحيطة بالأسرة والظروف الحضارية التي تمر بها .

وكنت أتساءل في نفسي : إننا في زمنٍ تعقدت فيه المشكلات ، وتشعبت[1]

---

(١) يرى الدكتور عبد الوهاب المسيريفي كتابه « الهوية الحركية الإسلامية » أن نقصنا الواضح في ذلك سببه هو غياب الاستنارة الفكرية الشاملة التي تترجم السلوكيات ، وسبب آخر وهو أن الخطاب الديني لم يتطور ويتسم بالشمول المطلوب ، ارجع إلى ص(٧٩/ ٨٠) من كتابه المذكور .

وظهرت العلوم المتخصصة في كل مجال ، فمن يقوم بتحليل مثل هذه المشكلات وتشخيصها وإيجاد الحلول المناسبة للأسرة والفرد والمجتمع هل هو عالم الدين ، أم عالم النفس ، أم عالم الاجتماع ، أم عالم التربية ؟ لأن مثل هذه المشكلات هي ذات جوانب مختلفة منها دينية ومنها تربوية واجتماعية ومنها نفسية .

قد يستطيع عالم الدين مثلًا ، أن يحيط إلى جانب تخصصه [١] بجميع العلوم الأخرى التي تستوحي فكرها ومبادئها من ثقافتنا ، وإذا كان يتمتع بثقافةٍ واسعةٍ في مختلف العلوم الإنسانية وغيرها ، ويتمكن من إعطاء رأي سديد في جوانب مختلفة للمشكلة .

ولكن ذلك في ما أعتقد انه صعب تحقيقه ويحتاج إلى تضافر جهود هؤلاء العلماء من أجل إيجاد الحلول القريبة والبعيدة لمثل هذه المشكلات وخاصة أن مسؤولية ذلك تتعلق ببناء المجتمع الصالح ووقايته وعلاج مشكلاته .

خاطرة : لكي نَضْمَنْ إيجاد فكر ديني سليم يكون على مستوى المسؤولية الحضارية يجب أن يكون لدينا مجالس للعلوم الإنسانية كمجلس أبي حنيفة في الماضي الذي كان يجمع رجالًا يناقشون قضايا المجتمع ومسائله ، بحيث يكونوا من أصحاب المهن المختلفة وتطبيقًا لمثل ذلك على الواقع المعاصر فيجب أن يجلس عالم الدين مع عالم الاقتصاد مع عالِم الفلك مع عالم العلوم الجيولوجية مع عالم العلوم الإنسانية حتى لا يصدر عن عالم الدين فتاوى

---

(١) التخصص من الفكر اليهودي والتكامل صفة الفكر الإسلامي ، ارجع إلى كتاب شبهات التخريب ، أنور الجندي ، (ص١٠٥) ، المكتب الإسلامي ، بيروت ١٣٩٨هـ ، ١٩٧٨م .

تبلبل عقول الناس ، بل تكون منسجمة مع أحوال المجتمع وواقعه وتكون أكثر شمولية في التفكير بحيث تعود بالمنفعة على الأفراد وعلى المجتمعات وتنسجم مع نظام هذا الكون وقوانينه ، وتسمى مثل هذه المجالس حديثًا كما في فرنسا بمجامع العلوم الإنسانية .

*****

عدم التماسك بين الأجيال من معيقات الزواج

تجاوبًا مع رغبة المسؤولين لدراسة أسباب غلاء المهور ، فإنني أرى أن ظاهرة غلاء المهور ومثيلاتها من أسباب إعاقة الزواج في هذا الزمن أصبحت كثيرة ولا أريد أن أتحدث بما تحدث به غيري في هذا المجال ، ولكن ما أريده هو توضيح بعض النقاط التي قد تكون خافية علينا ، ولكن ما أريده هو توضيح بعض النقاط التي قد تكون خافية علينا ، وتضطر الآباء إلى رفع مهور بناتهم اقتداءً بغيرهن من العائلات أو التي تسبب عدم المحافظة على الحد الأدنى من الارتباط بين الأجيال ، وبمعنى آخر نوعًا من التماسك الاجتماعي المطلوب لكي يتخطى المجتمع هذه المرحلة الحرجة من تاريخه .

والنقطة التي أريد أن ألفت النظر إليها ، هي تغير الأسلوب أو الموضة المأخوذة بها حاليًا بالنسبة لبداية الحياة الزوجية وخصوصًا في المدن ، ولو عمل الدارسون والمسؤولون ذوو الاختصاص بالوسائل الثقافية والعمل الاجتماعي المختلف للمحافظة على نسبة نصف حالات الزواج أن تتم في حدود الأسرة الكبيرة التي يتسم بها مجتمعنا كما كان ذلك في الماضي .

وأقصد المؤهلة نفسيًّا وثقافيًا لإنجاح حالات الزواج التي تتم في حدودها ، لساعد ذلك على تماسك أجيال وترابطها في المجتمع ثقافيًا ووجدانيًا ودينيًا ، ونكون بذلك قد ساهمنا في حل مشكلة أعداد كبيرة من الشباب والشابات المقبلين على الزواج ، ولجنبنا كثيرًا من الحالات الزوجية من الوقوع في أبغض الحلال وهو الطلاق ، فإذا عدنا إلى الماضي قليلًا ، فإننا نجد أن احتياجات

الآباء والأمهات كانت بسيطة للغاية ، كما أن طريقة تلبيتهم لهذه الحاجيات فيها نوع من التعقل والترشيد والحكمة ، بفضل الثقافة الإسلامية التي كانوا ينهلون منها صباح مساء ، وتحكيم قاعدة الحلال والحرام في أمورهم ، وبذل الجهد للاستفادة من خيرات البيئة وإمكاناتها ، والواقعية في التفكير ، وكان كل شيء يتم بعد ذلك بهدوء وتعقل وتعاون ، فلا حفلات زفاف في الفنادق ، ولا تهافتًا على الأزياء الأوروبية النسائية ولا ضخامة في تكاليف الأثاث الأوروبي .

أما الآن ، فمع كثرة الأسفار والغربة عند بداية الحياة الزوجية بسبب العمل أو الدراسة أو نتيجة النهضة العمرانية الحديثة ، فقد غلبت على نظرتهم ظاهرة التقليد الأعمى ، والتأثر بالتيار المادي الجارف ، والثقافات غير الإسلامية ، كما تمسك الأجيال بمبدأ الحرية الذي نادى به المغرضون من أعداء الشعوب بصفة عامة وأعداء الإسلام بصفة خاصة ، لأنه يؤخذ بها بدون مقومات دينية تضبط مسيرته واتجاهاته ، وقديمًا كان الزوجان يكتفيان عند زواجهما بتأثيث غرفة في بيت أهل الزوج ، وخلال سنوات معدودة كانت نتائجها لا تتعدى ثلاث حالات ، منها من تجد كل سعادة وخير وبركة في حياتها الجماعية مع أهل الزوج ، ومنها من تصبر على ظروفها القاسية أو غير القاسية لعدة سنوات حتى تصبح ظروفها مؤهلة للانفصال ، ومنها من ينتهي أمر زواجها بأبغض الحلال وهو الطلاق .

ولكن مهما يكن من أمر ، فإنه لم تكن نسبة الطلاق بالماضي [1] كبيرة إذا

---

(١) ضرورة اتفاق عدد من الخبراء والخبيرات يمثلون أكثر من جيل مثل ثلاثة أجيال أو أربعة في كل بلد عربي لاستخلاص التوصيات من أجل عدم زيادة التفكك بين الأسر والأجيال أي بين الآباء والأبناء ، بل إعادة التماسك بين الأجيال باعتباره ضرورة لصحة المجتمع .

قيست هذه النسبة بما يلاحظه الباحثون في الوقت الحاضر ، ففي المرحلة الأولى من الحياة الزوجية للمرأة ، فقد كانت الزوجة الجديدة أثناء معايشتها لأهل الزوج واحتكاكها بهم ، فإنها تتلقى نوعًا من الثقافة والخبرات في الحياة ، إضافة إلى ما كانت قد تلقته من أهلها خصوصًا والديها ، ولكن تصبح الحياة الجديدة بالنسبة لها أكثر ممارسة للمسؤولية وواقعية في التجارب .

وهذه الثقافة [١] تشمل تدبير أمور الحياة الزوجية وشؤون الطبخ ونظافة المنزل واقتصاده وتربية الأولاد ، وبعض خبرات الحياكة للملابس ، وفنون التطريز وأصول الكي ، وإصلاح الثياب ، ولوازم الزوج والأولاد ، وما يتعلق بهما من أمور دينية ، وما يشغل وقت الفراغ بشكل بناء واقتصادي ، ومثل هذه الثقافة في بيئة إسلامية أتصورها أنها من مؤثرات البيئة واقتصادها ومناخها ، ومن عطاءات العقيدة الإسلامية ، أو ما تعارف عليه الناس ، بالإضافة إلى المعتقدات الشعبية وما يخالطها أحيانًا من خيالٍ وأوهام .

وكانت الزوجة قبل أن تكبر عائلتها وتنفصل عن أهل زوجها بعد سنوات معدودة ، يتم لها التفرّغ لأمور الإرضاع والتربية ، كما تكون قد مارست نوعًا من العادات الحسنة في إطاعة الكبير واحترامه واحتماله ، وتقبل بعض العيوب التي هي من الواقع الفطري لكل إنسان وكل فرد .

فاكتسبت بذلك ثقافةً اجتماعية وأخلاقًا وعادات ، وتنوعًا في الخبرات تساعدها على ممارسة شؤون الحياة وتربية الأجيال ، وكذلك الحال ، فإننا نجد

---

(١) إن المجلة والإعلام الحديث هي التي أخذت زمام هذه المسؤولية من الأجيال السابقة في تثقيف الجيل الجديد إناثًا وذكورًا لنشر الرفاهية الغربية الحديثة وما يكمن خلفها من أيديولوجيات مادية لا تؤمن بالروح فننشر ثقافتها بين أجيالنا وبذلك نقود أعمال التغيير الثقافي لدى مجتمعنا.

الزوج أيضًا يكون قد تزود بالمعرفة لبعض الخبرات عندما أصبح في موقع المسؤولية ، كما تعلّم بعضًا من أمور مهنته التي اختارها ونضج في ممارستها ، وأصبح على الأغلب ميسور الحال ، وهي القاعدة السليمة التي تقول : ابدأ صغيرًا تصل كبيرًا ، هذا بالنسبة للماضي ، أما في الوقت الحاضر ، وفي المدن بالذات فإن الزوج أصبح مسؤولًا عن تأثيث بيتٍ كامل عندما يقدم على الحياة الزوجية ، مثل شراء غرفة وم ، وغرفة صالون ، وتأمين لوازم المطبخ والديكور ، وشراء التحف المنزلية التي لا تنتهي ، وأصبح أكثرها من الكماليات التي ينفق عليها أكثر من الضروريات ، تقليدًا للحضارة الغربية ، بالإضافة إلى كونها من البضائع المستوردة كالإيطالية والفرنسية والأمريكية التي هي جاهزة للاستهلاك وما يحتاج الأمر إلى تغيير في موضتها بين حين وآخر ، والزوجة أصبحت أيضًا مسؤولة عن بيت بكامله ، إما شقة صغيرة أو فيلا بغرفٍ متعددة وفيها هاتف ، وقد يتطلّب أسلوب معيشتها خادمة تساعدها على نظافة البيت ، وسائق سيارة وغير ذلك من التكاليف .

وأصبحت الحياة الجديدة أيضًا ، لها مشاكلها وهمومها ومتاعبها التي لا تنتهي مع الخدم .

ونتيجة لما ذكرناه بشأن الغربة والسفر والتنقل في الحياة الزوجية بسبب الوظيفة أو الدراسة أو النهضة العمرانية الحديثة ، فقد تباعد الأبناء عن الآباء وانسلخ الإنسان عن جذوره ، ولم تعد سلطة وتأثير الآباء على الأجيال كما كانت في الماضي .

إضافة إلى أنه لم تعد هناك في مجتمع المدن الذي تحتوي طليعة مثقفية نسبة معقولة من الأسر الصغيرة الشابة يتم لها الاحتكاك اليومي في المعيشة بين

الآباء والأبناء بحيث يعيشون تحت سقف بيت واحد ، فيكون لهم دورهم في المساعدة على تخطي ثقافة المجتمع مرحلتها الصعبة تخطيًا أمينًا دون أن تكون هناك هوة بين ثقافة الجيل الماضي ، وثقافة الجيل الحاضر ، وكان من واجب الوسائل العصرية الحديث للإعلام ، بالإضافة إلى دور المسجد كمركز ثقافي للمجتمع ، أن يعملا متعاونين على خلق ثقافة جديدة لها جذورها التاريخية الأصيلة من التراث ، بحيث تقرب وجهات النظر بين الأجيال ، وتعمل على التلاؤم والتواؤم بينهما ، بما يساعد على بناء المجتمع ويساهم في منطلقاته الأساسية ومسؤولياته ، وتبتعد بالمجتمع عن الثقافة الغربية التي تنشر المادية والصراعات بين الأجيال .

صحيح أن كل ذلك متوفر ، ولكنه يحتاج منا في المرحلة القادمة إلى تركيزٍ أكبر وجمع كلمة وشمل ، وتوحيد جهود [1] ، بالإضافة إلى دعمٍ أوسع حتى يؤدي دوره الفعّال ، ويلبي الاحتياجات لتصل الخدمات إلى كلِّ أسرة لنتجنب المشكلات التي قد تواجه المجتمع .

ذلك لأن شخصية المرأة والشباب تتعرض كما يتعرض المجتمع ككل ، بكل عناصر حضارته ، إلى تأثير الفكر الغربي وسطوته على عقول الكثير من أبنائنا وشبابنا بطريقة نفسية «سيكولوجية» ، يتبعها أصحاب الغزو الفكري وأعوانهم وهي غاية في الدقة والخبث ، بحيث يمكن التأثير على عقولهم بشتى وسائل الإغراء ، واستغلال الواقع السلبي كأن تعرض بعضها ثقافة سهلة لدى القارئ ، تؤثر في أحاسيسه وتلبي له احتياجاته العصرية ، ولكن على نمط

---

(١) لقد افتعلت النهضة الأوربية هذه الهوه بين الأجيال عندما أقدمت على إحداث قطيعة مع تراثها الماضي ، وبالتالي نَحْنُ تأثرنا بمجريات نهضتهم الحديثة وأُصِبْنَا بمرض تقليدها .

وأسلوب الفكر الغربي وتنقل له الفكرة بشكلٍ أسرع من الكلمة .

وخلاصة القول : إن الثقافة الحاضرة التي يجب أن نعمل على بنائها وحمايتها أيضًا ، لابد أن يكون لها الدور الكبير في خلق التماسك والتعاضد بين الأجيال ، والذي يؤدي إلى حسن تدبير الأمور وإن لم نفعل ونتدبر أمرنا فإن مصيرنا التفكك والانحلال لا سمح الله .

صحيح أن وجهات النظر التي تستند إلى ثقافة الأجيال لا يمكن أن تكون لدى جيلين واحدة تمامًا ، ولابد من بعض الاختلاف على بعض الأمور الفرعية والشكلية ، لذا فإنه من الضروري أن يعمل المجتمع بعلمائه وفقهائه ومفكريه ومثقفيه على تقريب وجهات النظر بين الأجيال ، حتى لا تتسع الهوة بينهما ، بل ننشئ قدرًا مناسبًا من التماسك الاجتماعي عن طريق إنماء الثقافة وحمايتها من الغزو الفكري ، بحيث تساعدنا على تخطي هذه المرحلة من نقلتنا الحضارية وتتم بذلك محافظتنا على هويتنا الحضارية الأصيلة المرتبطة بالتراث .

وإن خير ما يقرب من وجهات النظر هو تحكيم الشرع في أمورنا وتقربنا إلى العلماء والفقهاء [1] والاستفادة منهم ، فهم النجوم الحقيقيون الذين إذا التففنا حولهم ، وأعطيناهم ما يكفي من وقتنا ، وكان هناك الأخذ والعطاء السليم بينهم وبين عامة الناس ، فإنهم هم النجوم الحقيقيون الذين سيضيئون الطريق للأجيال بخبرتهم وعلمهم ، كما نحاول أن نقلل من العادات الجديدة من التفاف الناس لساعات طوال حول الأجهزة المرئية من أجل الترويح وطلب الثقافة ، ونستغل دور المساجد في الحي بالنسبة للتنمية الاجتماعية والثقافية ،

---

(١) ينصح الدكتور عبد الوهاب المسيري بضرورة تطور الخطاب الديني وضرورة أن يتسم بالشمول المطلوب .

أي : نعمل على تحقيق الأصالة والتوازن في أمورنا الثقافية .

وناحية أخرى وهي أنه مهما بلغت نوعية اختلاف ثقافة الجيل الماضي عن الجيل الحاضر أو غيرها من الفئات ، فليس ذلك مثل اختلافنا مع ثقافة الأعداء ؛ لأن الأجيال لم تكن في يومٍ من الأيام تحمل في نفسها ما يضر بالأبناء ، ولكن الجهل عند كِلَا الطرفين هو الذي يباعد بين الأجيال ، وإن الأعداء هم الذين يكرسون الثقافات الجاهلية الدخيلة علينا ، وينشرون الثقافات المادية التي تباعد بينهم ، وتضع في الطريق كل ما يعيق الزواج وطرق الوصول إلى الحلال لكي تسعى به إلى الضياع الحضاري لا سمح الله .

المرأة والعائلة الكبيرة :

ذكرت في المقالة الماضية بعضًا من الأسباب التي تعيق الزواج فتسبب له كثرة التكاليف المادية الباهظة ، كما تعرض ثقافته إلى الأخطار أثناء تخطيه لمرحلة التطور السريع علميًا واقتصاديًا واجتماعيًا ، كانتشار موضة وطراز المساكن الغربية الحديثة وما يتبع ذلك ويتضمن من موضات أخرى تنسجم معها مما يتسبب في اضمحلال مظهر العائلة الكبيرة التي هي سمة من سماتنا نحن أهل الشرق ، والسبب في ذلك يعود لعدة أمور ، أولها طبيعة العصر من جهة بسبب الغربة والأسفار وتنقل الأسرة من أجل الوظيفة من مكان إلى آخر ، وثانيها بسبب الثقافات الغربية التي تأتينا بطرق مختلفة عن طريق وسائل الإعلام والعلوم والفنون الجديدة التي نُدرسها لأبنائنا ، وثالثها الثقافات والعادات القديمة التي لم تعد تتناسب مع طبيعة العصر ، كأن تكون جاهلية في طبيعتها كالإنفاق من أجل الظهور ، والتفاخر أمام الناس أثناء احتفالات الزواج ، أو السيطرة السيئة على حرية الأجيال .

ونستطيع أن نلخص ما سبق ، أن هذه الأسباب بعضها مبرر ومنطقي ، وبعضها غير مبرر وسيئ ، وبالإمكان معالجته بالوسائل الثقافية المختلفة شريطة أن يكون الدواء بثقافة ذاتية أصيلة ، وباستخدام الحكمة وحبذا لو تعاونت الجهات الحكومية مع الجهات الأهلية كالجمعيات الخيرية في تقديم هذه الرعاية عن طريق مؤسسات المجتمع المتخصصة .

صحيح أنه ليس بالإمكان أن يكون وضع كل عائلة كبيرة مهيأ لكي يحتضن الأسرة الصغيرة ، ويتيح لها ، أي للزوجين العيش بسعادةٍ وهناء تحت ظلها ورعايتها ، ولكن من الضروري أن يعمل علماؤنا [١] وتتضافر جهودهم على ضمان توفر عدد لا بأس به من العائلات الكبيرة في المدن والتي تكون القدوة الحسنة في معاملتها للأجيال والثقافة الإيجابية الناتجة عن توافق حياتهم الاجتماعية ، ذلك لأن وجودها يعني صمام الأمان لسلامة نمو الثقافة والتفاعل السليم بين الأجيال .

كما أنه من الضروري الحرص على إظهارها وإبرازها إعلاميًا ، بحيث تكون القدوة الحسنة لنموذج الأسرة في المجتمع .

ويلعب مجتمع المرأة وفكرها دورًا كبيرًا في هذا المجال ، وخصوصًا عند الفئة المثقفة المتعلمة التي تأخذ أماكن الريادة في المجتمع دينيًّا وفكريًّا وثقافيًّا واجتماعيًّا .

وكما يقول البعض إذا كانت هناك مشكلة ففتش عن المرأة ، ولا أدري مدى

---

(١) اقرأ الأثر العظيم للدين في نفوس العرب وسلطانه على قلوبهم كما ذكر ابن خلدون في مقدمته ، راجع في هذا الشأن كتاب الدكتور زكي محمد إسماعيل ، الأنثروبولوجيا والفكر الإسلامي ، شركة مكتبات عكاظ للنشر والتوزيع ، ١٤٠٢هـ ، ١٩٨٢م .

صحة هذا القول ، ولكن ما أعتقده أن مجتمع المرأة إذا كان ناضجًا بفكره وعلاقاته فإنه يكون المساعد الأكبر على تماسك الأجيال ، والمساهمة في حل مشاكل الزواج وضمان الاستقرار وحسن التعبير والسعادة الأسرية .

فكثير من المهور المرتفعة أو المتواضعة ومشكلات الزواج وتكاليفه وسعادته ، تكون بسبب فكر المرأة وثقافتها الدينية والاجتماعية .

فنضوج فكر المرأة يستطيع أن يكون المساعد الكبير في اتخاذ المواقف السليمة في هذا المجال .

وقد يصحح من جاهلية فكر الرجل على مدى الزمن ويحافظ على ضمان سلامة مسيرة الأجيال .

ذلك لو أحسنا استغلال عاطفة الأمومة في تقرير مصير الأجيال وسلوكياتها الاقتصادية والاجتماعية ، وعملنا على ربط هذه العاطفة بالعقل ، نضمن أن نخرج من هذه المرحلة بعادات وأخلاقيات تحافظ على الأخذ والعطاء السليم بين الأجيال .

كثيرًا ما تحبذ المرأة في هذا العصر العيش في نطاق الأسرة الصغيرة ، ولكن عندما ينضج تفكيرها يكون لها رأي آخر ، وكذلك عندما تتوسع ثقافتها وتجاربها ، تعالوا بنا نستمع إلى رأي المرأة المسلمة المعاصرة عن العائلة الكبيرة ومصير المجتمعات التي تشجع انفصال الأبناء واستقلالهم في سن مبكرة حيث تقول السيدة هيفاء فخوري رئيسة اتحاد النساء العربي في أمريكا عندما تحدثنا عن تجربتها في هذه البلاد : «إن الطفل الغربي ينشأ في بيئة تختلف كلية عن البيئة العربية ، بيئة خالية من الترابط العائلي ، بينما نحن العرب نشأنا على

عاطفة صلة القربى والرحم والترابط العائلي ، ولهذا نقف متأملين أمام المجتمع الأمريكي الذي يشجع انفصالات الأبناء واستقلالهم في سن مبكرة ، وأعتقد أن هذا الوضع هو من أكبر أسباب انهيار المجتمع الأمريكي» .

وتتحدث سيدة أخرى عن بعض العادات الجاهلية التي تلجأ إليها بعض الأسر الكبيرة فتقول : «قد يشتط أهل الزوج في معاملتهم ، فتصبح الزوجة مجرد فردٍ من أفراد الأسرة ، بينما الزوج أو الحماة أو الابن الأكبر هو الزعيم غير المنازع» .

ولكننا نرى بالمقابل أن بعض الجماعات الإسلامية قد حسمت هذه المشكلة بأن سارت على عادات وتقاليد ، بحيث ضمنت احترام زوجة الابن وحقوقها واعتبار مكانتها ، وبهذا ضمنوا استمرار الود العائلي والمحبة المتبادلة بين الأجيال .

وفي ذلك مساهمة في حل مشاكل كثرة تكاليف الزواج والحد من مشكلة المساكن والخدم وغيرها .

وسيدة أخرى من الكويت الشقيق ذاقت حلاوة معاني الأسرة الكبيرة لتحدثنا عن تجربتها السعيدة فتقول : «هذا البيت أسميه «بيت الحب» ، هنا تعيش أربع عوائل ، إخوان زوجي وزوجاتهم وأولادهم وعم زوجي وولده ، نتغذى جميعًا كل يوم عند أم زوجي ، ما أروع منظر الأولاد معًا ، ما أروع تفاهم الكبار ، ما أروع إحساسنا جميعًا بالانتماء بالهناء الأسري ، بالإدراك والوعي ، بمعنى التكاتف والتعاون والتساند والمحبة ، إنه لشعور لذيذ ومريح ، مريح أن يشعر الفرد منا بالحب يحلّق ويخفق في كل القلوب ، هنا في

هذا البيت الصغير يحترم الكبير ويقدره ، وهذا هو مظهر عظيم في رأيي يجب أن نحافظ عليه نحن أهل الشرق» .

والسؤال الذي يجب أن نفكر بالإجابة عليه بعد هذا ، ترى هل يمكن أن تقوم الأسرة الكبيرة على دعائم من الوعي والتعاون والتكاتف والمحبة ، فإذا لم ينظم ذلك قيادة من الأمهات الواعيات الخبيرات المؤمنات التي يتصف سلوكها بالنضج المطلوب بالتسامح والبعد عن الأنانية بحيث تستطيع أن تجعل أبناءها وأحفادها يعيشون مع بعضهم بحبٍ وسعادةٍ ووئام ؟ وهل يمكن لحضارتنا أن تفرز من جديد مثل أولئك النسوة ؟

عائلاتنا الصناعية تواجه أعمال التغريب الأوروبي

كلنا يعرف أن أكثر الأسر في بلاد الشام كانت تسمى أو تكنى عائلاتها بالمهنة التي تمتهنها تلك العائلة ، ولكن الحداثة الغربية أتت للشرق منذ حملة نابليون بونابرت باسم التنوير لكي تهدم كل أنظمتنا القديمة وتقضي عليها وتستبدلها بالنموذج الغربي الأوروبي ، باسم التنمية والتبشير بالحضارة الأوروبية ، أي تغيير أساليب معيشتنا مثلما فعل نابليون عندما هدم بلاد مصر [1] الكبيرة كالقاهرة والإسكندرية وعمل على استيراد أو التبشير بعلوم وفنون الغرب سواء في طريقة عمارتها وملابسها وأزيائها وأذواقها وفنون ترويحها وتابع رجالات الحملة الفرنسية والإنجليزية ومبشريها في الدعوة إلى تحرير المرأة ، كما عمل الإنكليز على تغيير نظام التعليم وفصله عن الدين والتراث ، وكل هذه الأمور ساهمت في تقويض دعائم الأسرة الكبيرة في

(١) محمود محمد شاكر ، رسالة في الطريق إلى ثقافتنا ، الناشر مكتبة الخانجي بالقاهرة ، الطبعة الثانية ، ١٤٢٧هـ ، ٢٠٠٦م ، (ص٩١، ٩٤) .

الشرق ثم تبع ذلك تقويض دعائم الأسرة الصغيرة عن طريق الثقافة العامة الدخيلة التي غزتنا عن طريق المجلة والأجهزة المرئية ووسائل التحديث بشكل عام واستخداماتها بما يعمل على تفتيت العرى التي كانت تجعل مجتمعنا متماسكًا بعقيدته ونظامها الفكري متماسكًا وملتزمًا بأن يكون إنسانًا عاملًا منتجًا .

ونحن نعيش زمن الضياع بتأثيرات العولمة فنحن كالغراب الذي أحب أن يقلد مشية الطاووس فلم يتقن تقليد مشيته ونسي الغراب كيف يرجع إلى مشيته الأصلية .

فلعل من الأفضل أن ندرس ظاهرة تماسك الأسرة الكبيرة ، ونقوم بالتشجيع للعودة إلى أحسن ما فيها ، أو بمعنى آخر أن يتوفر عدد لا بأس به في المجتمع بحيث تكون نموذجية في علمها وعملها وتعاونها وتعاضدها أي لا تنقرض هذه الظاهرة في مجتمعاتنا ، وأن يكون تماسكها عن علم ودراية ونتائج حضارية ندفع مجتمعها إلى التقدم والتماسك بين الأجيال والقضاء على بطالة الشباب وضياعه بين أزمة المساكن والثقافات الدخيلة التي تؤدي إلى فقرنا فكريًا واقتصاديًا واجتماعيًا وحضاريًا من جرّاء جهلنا بنماذجنا العمرانية السابقة ووظائفها الاجتماعية والأسرية .

منذ سنوات كنت في زيارة لأحد صديقاتي وكان من بين الحضور سيدة دمشقية متقدمة في السن وهي قريبة لعائلة عريقة أعرفها في دمشق .

أخذت هذه المرأة تروي للجالسين أن أسرتها في الماضي كان يجتمع على إدارة أمور العائلة ثلاث أو أربع أجيال من النساء ومن الطبيعي أن يكون

السكن كبيرًا من البيوت العربية القديمة ويعطي لكل فتى يرغب الزواج من عروسته التي اختيرت بإرادته وموافقة أبويه غرفة واحدة وما إليها وتقدم إليهما الوجبات الرئيسية .

وهكذا يعيش الأبناء مع آبائهم ، والآباء والأمهات مع أبنائهم ، بكل وئام وصحبة ، ويذهب الرجال والشباب إلى العمل بعد التعبد وإقامة صلاة الصبح ويعودون في المساء وكل شيء منظم ومرتب .

كنت أستمع إلى قصة بعض الأسر الدمشقية باستغراب والتي كانت بالطبع تمتهن مهنة ما حيث كانت تكنى العائلة بالمهنة التي تمارسها هذه العائلة ، وكان لكل مهنة شيخ حيث يجتمع أرباب المهن وشيوخها بشكل دوري ويتعاونوا على تنظيم أمورهم وأداء واجباتهم من خلال أخوتهم الدينية والقرابية والوطنية ، وجاء التغريب ليهدم القديم باسم حقوق العمال والاشتراكية الغربية عنا فكريًا وما يتبعها من تنظيمات لم تعد على الاقتصاد الوطني بخير وازداد التفكك العائلي وازدادت البطالة ، وتغريب جوانب حياتنا ، وازداد تعلقنا بالحداثة التي تزيد من أمراضنا الاجتماعية والثقافية ، عندما كنت قد استمعت إلى قصة عن تراثنا عن تلك العائلة الكبيرة التي كانت تحتضن شبابها وبناتها ، كنت قد انتهيت من قراءة كتاب لمفكر عربي يناقش قصة الشباب الذين لا يجدون أو لا يمكنهم دخلهم في أن يجدوا شقة مناسبة للزواج .

وكان اقتراحه أن ينتظر كل واحد منهم في بيت أهله حتى يجد الشقة المناسبة لدخلهم حتى يتم الزواج .

أتصور أن مثل هذه العائلات كان الكثير منها موجودًا يوم كانت دمشق معمورة بالصناعات والمهن التي يرتكز عليها اقتصاد البلاد .

وأتصور أيضًا أنه لو كتب لمثل هذه البيوت الاستمرارية ، لوجدنا أنهم مع تطور العصر ، عمل سكانها على تخصيص غرفة أو اثنتين من أجل الأبناء الذين يحتاجون للعمل على الكمبيوتر ، وكذلك للراغبين في مشاهدة التلفزيون .

وكثيرًا ما كانت مثل هذه البيوت مشجعة لبعض أفراد العائلات أو الأمهات اللواتي يتوفر لديهن الرغبة والموهبة من أجل شغل وقت فراغهن بأعمال الإبرة والتطريز اليدوي أو على الماكينة الكهربائية .

لم تكن دمشق وحدها تقتصر على العائلات الصناعية فهناك في اليابان مثلًا عائلات صناعية كثيرة ومهن كثيرة ومما اشتهر منها في العصر الحديث عائلة تويوتا التي اشتهرت بصناعة السيارات وأطلق على سياراتها اسم العائلة تويوتا ، وكذلك الحال بالنسبة لعائلة نيسان اليابانية ، التي أطلق على إنتاجها اسم العائلة أيضًا ، أما عائلة ميستوبيشي فهي تصنع إلى جانب سيارات ميستوبيشي فقد تعدت صناعاتها إلى صناعة المعدات الثقيلة وصناعة المكيفات وصناعة السفن وهكذا نرى أن التماسك الأسري يعود بالفائدة على الإنتاج الصناعي للبلاد ويبعد الإنسان عن الترف والفساد ، يقول الله تعالى: ﴿وَقُلِ ٱعۡمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمۡ وَرَسُولُهُۥ﴾ [التوبة:١٠٥] .

*****

الدخول من الثغرات والغذاء المموّه

أصبحت المجلة صديقة الإنسان في هذا العصر ، عصر الغربة والأسفار والابتعاد عن الأهل والأصدقاء ، وانتقال الأسرة من مكانٍ إلى آخر بسبب ظروف العمل أو الترويح عن النفس أو لأي سببٍ آخر .

ولا يمكن أن نغفل دور المجلة في هذا العصر كوسيلة لتعويض الإنسان عمَّا فقده من ثقافة كان يستمدها ممن يثق بهم من الأهل والأقارب والأصدقاء المحيطين به ، تساعده في حياته اليومية وتعينه على أمور الحياة .

وهكذا تعمل المجلات العصرية على تزويد الإنسان بألوان الثقافات المختلفة التي تشبع احتياجاته وميوله وتطلعاته .

فأنماط السلوك تنتقل عن طريق القصة المشوقة التي تعرض الحوادث المختلفة والمواقف التي يقوم بها أبطال القصة والتي تعبر عن ثقافة معينة لمجتمعٍ من المجتمعات ، والثقافة الغذائية تعرضها تلك المجلات عن طريق تقديم بعض أسماء المأكولات وطريقة طهيها وما إلى ذلك .

وكذلك الثقافة الخاصة بالملبس ، تعرضها عن طريق عرض الأزياء الجديدة وأخبارها وآخر صيحات الموضة ، أما العناية بالصحة الجسمية فتعرضها في أبواب الاستشارات الطبية والمواضيع المختلفة المتعلقة بهذه الناحية .

فالمجلات الأمينة المخلصة هي التي تنقل لنا تلك الثقافة من واقع أصالة المجتمع فتربط القارئ بعادات آبائه وأجداده وأخلاقه وسيرهم ومبادئهم ، وتشبع احتياجاته للإبداع بكلِّ جديدٍ عن هذه الأمور لأن الإنسان بطبيعته يميل إلى التجديد والتغيير ومتابعة أحداث ألوان المعرفة .

والمجلات الخبيثة ذات النوايا السيئة هي التي تقدم لنا تلك الاحتياجات ، وتنحرف بالقارئ عن أصالته وتخدعه باستخدامها وعرضها لأجمل وأحدث الأعمال الفنية بأمهر الأساليب قاصدة الوتر الحساس في القارئ ، فتقدم له زادًا فكريًّا لذيذًا طيبًا وقد دسَّت فيه السم الذي يفكك عن عري نسيج جسم المجتمع الذي ينتسب إليه وأجزائه وخلاياه .

والعالم العربي ابتلي ببعض المجلات التي تصدر أجزاء من البلاد العربية التي استخدمت كقاعدة الغزو الثقافي للمجتمع العربي والإسلامي ، هذه المجلات ليس همها سوى إشهار الرذيلة ، وعرض مظاهر الأمراض الاجتماعية في المجتمعات الأوروبية بشكل مقبول ، لكي يألفها القارئ ، وكذلك آخر الصيحات والموضات العالمية ، كل ذلك من أجل إحداث التغيير في العادات والتقاليد الحسنة الموجودة في تلك المجتمعات واستبدالها بأخرى تحيد عن طريقه .

وسأتناول في الحديث عن نوعٍ من هذه المجلات التي تسمي نفسها بالاجتماعية والفنية والمصورة مثل «ريما» و«فوتو» و«ألف ليلة وليلة» و«دليلة» ـ ويعلم الله ـ أنها موضوعة من قبل أيدٍ خبيثة وحاقدة ويتولى المسؤولية فيها مواطنون في العالم العربي محسوبون عليه لا يهمهم سوى جمع المال ولا يملكون من المبادئ الأصلية التي تبصرهم بما يعملون وإلى أي مسعى يسيرون وأية مبادئ يخدمون .

هذا النوع من المجلات وضعت بطريقةٍ علميةٍ ومدروسةٍ وماهرة ، من أجل تغطية الأهداف التي تسعى إليها أثناء تقديمها الثقافة للشباب والفتاة في الوطن العربي ، بحيث تلبي حاجته النفسية والاجتماعية المؤمنة ، وتؤدي بالنتيجة إلى تغيير ثقافته التي يحتاجها جسم أمته كي يقوم بدوره الفعال في عملية البناء ، واستبدالها بثقافةٍ غربيةٍ تزيد من غربته في وطنه وبين أهله ومحبيه .

وفيما يلي أعرض بعضًا من الوسائل التي تتبعها مثل تلك المجلات ، والتي تموه حقيقتها وتخدع المنخدعين بها وتجعلها مرغوبة منهم ومحبوبة لديهم .

١ـ تعرض ثقافة سهلة لدى القارئ تؤثر في مشاعره بوسائلها الفنية ، فهي تستخدم الأسلوب القصصي والصورة التي تؤثر في أحاسيس القارئ ، وتنتقل الفكرة إليه بشكل أسرع من الكلمة ، يفهمها أبسط الناس وأقلهم ثقافة ووعيًا ، مدركة لظروف إنسان هذا العصر ، عصر السرعة .

٢ـ تلبس ثوب الثقافة العربية ، مثل استخدامها اللغة العربية والأسماء العربية أحيانًا التي تخفي غرابة موادها وأغراضها الحقيقية .

٣ـ تشبع روح المغامرة لدى الشاب أو الفتاة ، وتتناول القصص العاطفية التي يظمأ إليها شبابنا وخاصة في مشكلاته الجديدة التي تواجهه بسبب تطور المجتمع ، وما يتبع ذلك من تأخر سن الزواج بسبب طلب العلم ، وازدياد تكاليف المعيشة ، وتعرض له مواقف وعادات تتنافى مع أخلاقنا ومبادئنا ، وذلك من خلال تلك القصص أو الحوادث التي تصبح مألوفة لديه مع الزمن ومستساغة عنده .

٤ـ تشبع لدى الشباب ميولًا كثيرة تتفق مع مرحلة عمره مثل الصداقة للمجلة والممثلين الذين يقومون بتأدية أدوار البطولات في قصصها عن طريق باب المراسلة الذي تخصصه من أجل ممثليها ، فتختارهم من أجمل الشباب والفتيات لكي يكونوا مثلًا أعلى في الصورة التي تدغدغ أحلام القارئ أو القارئة ، وما يتبع ذلك من مثل أعلى أيضًا في ملابسهم وسلوكهم وأجواء مغامراتهم .

وقد يلمس القارئ الواعي هذه الأمور من الخطابات التي يرسلها القراء الشباب إلى هؤلاء الممثلين والممثلات .

٥ـ تلبي المجلة الاستفسارات الطبية ، وتمد القارئ بالإجابات الصحيحة المستندة على خبرات أحسن الأطباء ، وهذا مما يدعم من قوتها ، ويزيد ثقة القراء بها ، كما تجيب على الأسئلة العاطفية بنزاهةٍ واعتدال من واقع ثقافة مجتمعنا ، حتى لا تظهر بمقصدها الحقيقي الذي تزود به قراءها ، والذي يفوق ضرره أضعافًا مضاعفة عن فوائدها .

٦ـ أما الصفحة النفسية ، فهي تعرض خدماتها بالأسلوب الذي لا يرجع المسلم إلى حظيرته الأصيلة التي تحقق له الراحة النفسية ورضاء الضمير ، بل العكس ، فإنها تقدم له الخدمات النفسية الوقتية التي تزيد من عذابه النفسي في بيئته ، بالإضافة إلى الآراء المسمومة التي تعرضها أحيانًا والتي تماثل مقاصد «فرويد» وأمثاله من العلماء اليهود الذين يعملون على إفساد العالم والسيطرة عليه وتحقيق مخططاتهم .

٧ـ تستخدم تلك المجلات أحدث أنواع الطباعة ، وأجمل وأفضل فنون التصوير التي ترضي القارئ الشاب وتنقله إلى الأجواء الحالمة ، ويتمثل ذلك بشكل واضح في صورة الغلاف التي تثير غرائز الشباب ، وتصور لهم مواقف الحب الزائف الذي يجمع بين الفتى والفتاة .

٨ـ تجري كل عام بعض الاستفتاءات التي تتعرف بها كل ما يُرضي جمهور قرائها ويخلق الأخذ والعطاء بينه وبين المجلة .

وقد لفت نظري مرة مسابقة أجرتها إحدى المجلات لمعرفة أطرف وأحدث ظاهرة اجتماعية يلاحظها الشباب في بيئته ، سواء كانت في مدرسته ، أو الجامعة التي يدرس فيها ، أو مكان عمله مقابل جائزة مادية عن كل خبر ، وإنني أرى أن هذه الأمور هي من ضمن الوسائل التي يستخدمها من يهمهم الأمر بين

حين وآخر لدراسة الظواهر الاجتماعية المستجدة وسبر غور درجة الغزو الثقافي الذي وصلوا إليه خلال جهودهم المستمرة لتفكيك عرى التماسك في أجزاء مجتمعنا ، وكمقياس لدرجة حرارة المريض المراد تخديره ، لكي يبقى منهارًا لا يستطيع الوقوف على قدميه ، والمريض هو جسم المارد العربي المسلم وهو الأمة .

كنت ألاحظ في الأعوام السابقة ، انتشار أمثال هذه المجلات على أرصفة شوارع الرياض ، كما كنت أراها تتصدر واجهة المكاتب في أجزاء أخرى من الوطن العربي ، ثم لاحظت اختفاءها من الظهور في المملكة وهذا بفضل وعي المسؤولين في وزارة الإعلام .

إن هذا النوع من الثقافة التي يعرضها من هم وراء هذه المجلات ، لا يقل خطرًا عن القنابل العادية التي توضع بين الصفوف ، وتدخل كل أسرة ، بل قد تتعداها خطرًا لأنها تصيب الأمور المعنوية ، وأخلاق الشباب ، وتفجر من قيمهم ، وتشتت من الصفوف دون أن يلمس صاحبها أو من حوله صوتًا لانفجارها وعدوانها وآثاره ، ودون أن تخلق في نفسهم ردود الفعل لصد عدوانها ، أو مجرد البحث عن ماهية هذا العدوان .

إن العرب المسلمين لم تصل درجة علومهم الاجتماعية والنفسية إلى قياس التغيير الثقافي والتطور الفكري الذي حصل ويحصل منه أعداؤنا على مواقعهم من صفوفنا ، ولا النعرات التي ينفذون ونفذوا منها إلينا ، ولا تحليل الجراثيم التي يزرعونها في صفوفنا ، لكي نجابه العدوان ونملأ الثغرات ، ولكن الجهود المبذولة والتقدم الملموس في الخطوات والتضحيات التي يقدمها المخلصون لهذه الأمة كلها ، تعطي الأمل الكبير في وصول المسيرة إلى غايتها بإذن الله ، وانتشار الوعي لدى كل الأفراد .

خاطرة حول الأكاديمية :

أصبح من المعروف أن أعداء أمتنا ينفقون المال بالملايين من أجل إفساد الشباب العربي والإسلامي ويصبرون ... ، وتطالعنا في هذا الوقت مؤسسة قد تم تأسيسها في بلد عربي منذ سنوات تحت مسمى مؤسسة علمية مع الأسف الشديد وظيفتها إعلاء نجومية قيم الفن الذي لا يأخذ بيد المجتمع إلى الأمام ، بل بالعكس كما هو الحال في مؤسسة «ستار أكاديمي» ، فالفكرة من أساسها لا يرضى عنها الشرع أو الدين ولا الفطرة السليمة ، وكم نحن مقصرون في إسكات ومقاومة مثل هذه الأفكار وأعمالها التي لا تعود علينا منها بنتائج سوى تكسير قيم الحياء والأخلاق بين أبنائنا وبناتنا ومجتمعاتنا .

إننا مقصرون في إحياء قيم أخلاقية وجميلة وبانية للمجتمع وبشكل مؤسساتي يكون التنافس فيها بين الشباب الناجح الطموح على إفادة مجتمعاتنا والعالم أجمع بقيم البناء والعطاء والمعرفة ، أي : قيم يحتاج إليها مجتمعاتنا ، وما أكثر الشباب الناجح الذين هم بأمس الحاجة إلى مد يد العون لهم بتقديم حوافز مادية وتشجيعية وبعثات علمية ليتخرجوا نجومًا ينيرون الطريق للناس كافة فيكونون نجومًا للإصلاح ونشر السعادة والمعرفة والولاء لأمتهم وأوطانهم من جهة والعالم أجمع من جهة أخرى ، ولكن طريق العلا والنجاح يحتاج من الإنسان أن يُبذل من أجله النفس والنفيس .

فعندما يجيء الحق لابد للباطل أن يزهق .

يقول تعالى : ﴿ وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾ .

[الإسراء:٨١]